Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهت السلاطن وصحبه ووقع التسليم لأبي يعزى، فإن «أبا يعزى»، أو كما تصوره الكرامة، لم يعنت خصومه. وعلى هذا رجعت المياه إلى مجاريها وتحقق التوازن الذي كانَ قَدِ اختل بين الخليفة وبين «أبي يعزى»، وتحول الصراع إلى مصالحة بين القوتين واحتفظت كل منهما بموقعها، ولم تستسلم إحداهما إلى الأخرى، وإنما تَوَاءمَا وتصالحا، تقول الكرامة: «وزاد ابنه عبد الله أن الشيخ أبا يعزى عرض على الخليفة الوصول إلى منزله بحكم التشريف والقيام بالواجب من التضييف. قال فسار هو وأولئك الأشياخ ومن حضر معهم...»[16].

### هـ شمولية التوازن:

تبعاً لهذا التوازن الذي نتج عن المصالحة وقعت مصالحة أخرى موازية بين أبي يعزى، وبين الأسود؛ فإذا كان أبو يعزى قتل الأسد في الكرامة الأولى، فإنه كان في الكرامة الأخيرة نائماً «مع طائفة من الصوفية الأسود، رأسه على أسد ورجلاه على آخر، وهو عريان في سراويله، وما دار به من الأسود يلحسونه»[17]. وهذه الواقعة تجعل التساؤل التالي يطرح: لماذا عُومِلَ الأسد معاملتين مختلفتين؟ ما العلاقة بين مخاصَمةِ أبي يعزى الأمير ومخاصمته الأسد؟ ما العلاقة بين مصالحة أبي يعزى مع الخليفة ومصالحته الأسد؟ ما العلاقة بين الأسد والخليفة، وبين الأسود وشيوخ الأمر والخاصة؟ لماذا اختير الحمار والأسد لجعلهما بطلين رامزين لصراع أبي يعزى مع الخليفة وحاشيته؟

للإجابة عن هذه الأسئلة التي طرحناها نقرر مبدئياً تجاوز المعاني التي تتبادر إلى الذهن أول وهلة ـ الحمار حيوان أليف والأسد حيوان كاسر ـ إلى المعاني الرمزية التي تليق بسياق الكرامة وبمقاصدها؛ على أن كل حيوان يمكن أن يوصف بصفات سلبية كما أنه يمكن أن ينعت بصفات إيجابية. يقول الجاحظ في الحمار: «وللناس في مدحه وذمه أقوال متساوية بحسب الأغراض»[18]. وسنستبعد هنا المعاني القدحية للحمار ونتجه نحو صفاته الإيجابية باعتبار أنه كان «للرسول حمار»، وكان «الأنبياء يركبون الحمير». وعلى هذا الأساس يمكن أن نفترض **أن ذكر الحمار في الكرامات التي نحللها يشير إلى سياق مقدس يعلي من شأن هذه البهيمة**، ذلك السياق الذي هو

(16) ما ذكر.

(17) ما ذكر، ص 53.

(18) الجاحظ، ما ذكر، ص 251,238.